ما بعد الحداثة

المبحث الثالث من القسم الثالث في كتاب Cultural Geography

ستيفن فلستي

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

ما بعد الحداثة هو علم الوجود الذي يقوض العديد من الافتراضات التأسيسية للجغرافيا ، ويتطلب إعادة تصور جذري للمجال الذي ما يزال مستمرًا حتى الآن . منذ نشأتها ، كانت الجغرافيا متجذرة بعمق في مفاهيم التنوير والحداثة للحقيقة كونها موضوعية وقابلة للتمثيل بشفافية . وهكذا ، اضطلع الجغرافيون منذ "عصر الاكتشاف" وما بعده بمهمة تسجيل وقياس توزيع التباين الطبيعي والبشري عبر سطح الأرض ، ومسح الأرض بحثًا عن الحقائق المرئية ورسم خرائط أهميتها العلائقية من أجل استخلاص ما يمكن الافادة منه . المعرفه ، انسجاما مع هذه المهمة كان الارتباط الجغرافي الطويل والحميم مع المشروع الاستعماري . يستلزم الهدف الاستعماري المتمثل في إتقان جميع الاستطلاعات الفردية شرطًا مسبقًا للمسح (ينظر Graham Burnett 2000) ، وهو أمر حتمي لتحسين المراقبة ، وإجبار المرء على توسيع نطاق المراقبة على أوسع نطاق وأعمق ، قدر الإمكان . وهكذا ، فإن السياق الاجتماعي والسياسي للتطور للجغرافيا قد شبع المجال مع سبب واضح للوجود : وضع الأساس لنظم النطاق ، والكمال المستمر ، لتفعيل السلطة . استمر هذا الزخم ، في أشكال حميدة وأقل من ذلك ، في منتصف القرن العشرين ، سواء في الخوارزميات الآلية للمكان الحضري للعلم المكاني أو في التعريف الوصفي وفهرسة مناطق الثقافة وخصائصها .

ومع ذلك ، فإن هذا التقاطع بين الجغرافيا وإنتاج المعرفة وسن السلطة لم يمر دون منازع . في وقت مبكر من عام 1885 ، جادل الجغرافي وعالم السلوك الحيواني والأناركو-الشيوعي بيوتر كروبوتكين بأن دور الجغرافيا لا ينبغي أن يكون جمع المعلومات الاستخباراتية لتعزيز الإمبراطورية والاستغلال الخاضع للاختلاف ، ولكن السعي لتحديد القواسم المشتركة بين البشر وفهم الاختلافات على أنها وسيلة لتسهيل التعاون المتبادل بين مختلف الناس والشعوب . وبحلول بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، تحولت مثل هذه الهزات من المعارضة ، والفشل المستمر في إرضائها ، إلى سيل عارم . أكد الجغرافيون الذين يتحدثون باسم الفقراء والعمال والنساء والأقليات المستعمرة وغيرهم من السكان الذين تعرضوا لفترة طويلة (وعاملوا كأغراض) المعرفة الجغرافية أن أصواتهم قد تم إسكاتها منذ فترة طويلة بسبب الجغرافيا .

الحقائق والحقائق المفترضة ضد هذا الظلم ، تم تطوير مناهج جغرافية بديلة استلزم تحولات في وجهات نظر المجال ، والبؤر ، والأساليب وحتى نظريات المعرفة ، مما أدى إلى ظهور الجغرافيا النقدية الماركسية ، والجغرافيا النسوية ، وجغرافيا ما بعد الاستعمار وغيرها . في هذه العملية ، خضع إجماع الوضع الراهن (وإن كان منقسمًا بشكل متقطع) حول ما هي الجغرافيا ؟ ولنزع الشرعية ، وتعدد الجغرافيات : فقد أصبحت مناطق جغرافية . **تحدت** هذه المناطق الجغرافية الجديدة ما يجب أن يعده الاختصاص العلمي حقيقة ، وما هي الحقائق التي كشفتها هذه الحقيقة ، وإلى أي غرض ينبغي تطبيق هذه الحقائق ؟ لم يتحدى أي منها بشكل مباشر الافتراضات الأساسية حول طبيعة الواقعية وإمكانية الحقيقة نفسها ، لكن في الانتشار شبه المتزامن للحقائق الجغرافية المتباينة ، كان التحدي ضمنيًا (إذا كان غير مقصود) . باختصار ، تساءلت المناطق الجغرافية الجديدة صراحةً عن ماهية الجغرافيا ، وفي وجودها المشترك غير القابل للقياس تساءل ضمني عن ما يجب أن تكون عليه الجغرافيا ؟ وما يمكن أن تكون عليه ؟ في هذا الافتتاح صعدت ما بعد الحداثة .

بشكل عام ، ما بعد الحداثة عبارة عن عدد من الانتقادات ذات الصلة لمشروع الحداثة . بشكل عام ، كان هذا المشروع يتألف من عمل اجتماعي مسترشد بالإيمان بالحقيقة التي يمكن تمييزها عالميًا وإمكانية

حشد هذه الحقيقة للتحسين التدريجي عبر الزمن الخطي ، مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق حالة نهائية أعلى وأفضل . كانت هذه المسيرة الصاعدة تعتمد على الانقسام بين موضوع موحد ومتميز ومنفصل قادر على الموضوعية البريئة ، وعالم يمكن مقاربته كموضوع منفصل للتحليل . يُفترض أن هذا التقسيم يعمل على تمكين اشتقاق تمثيل أكثر اكتمالاً ودقة وفائدة للواقع في نهاية المطاف بما يتوافق مع الواقع نفسه .

تدعي ما بعد الحداثة أن هذا المسعى ليس خاطئًا فحسب ، بل إنه خطير في كل من النظرية والممارسة المثبتة . بالطبع ، "ما بعد الحداثة" كموضوع للوصف لا يقول شيئًا في الواقع . وهي تتألف من العديد من الأصوات (للحصول على تلخيص ممتاز ، ينظر Natoli 1997) ، وكثير منها لا يعرف نفسه على أنه ما بعد الحداثة ، وكل منها يتبنى مواقف ومجالات تركيز متميزة . ومع ذلك ، فإن عملهم معًا يتقارب لتشكيل بؤر بديهية لما بعد الحداثة .

1- إعادة تقييم الحقائق كقصص كبيرة لإضفاء الشرعية ، أو "سرديات وصفية ."

2- تحديد المعنى على أنه غير متأصل في الأشياء ، ولكنه مرتبط بالأشياء من قبل فاعلين ذوي موقع اجتماعي وثقافي .

3- إعادة تعريف الجواهر الثابتة للأشياء على أنها اختلافات عرضية ، تتشكل دائمًا فيما يتعلق بما نختاره (بوعي أو غير ذلك) لمحاذاة شيء ما .

4- إعادة تصور الإدراك غير الإشكالي كونه تمثيلاً تفسيريًا ، دائمًا من خلال عدسة أجندة واعية إلى حد ما.

5- إعادة تعريف المعرفة على أنها مكوّنة للسلطة التي تُسن من خلال الممارسات اليومية للأجساد في الفضاء.

إن الآثار المترتبة على هذه المبادئ لتقويض اليقينيات الماضية ، وكشف الأجندات المخفية منذ فترة طويلة ونتائجها الطبيعية القمعية ، وتسهيل الحرية للجميع في مجال تم التأكيد عليه حديثًا من التمثيل الخطابي تشكل ما يسميه مايكل دير (2000) " منهج ما بعد الحداثة ". إن لمثل هذه ما بعد الحداثة تأثير في تفكيك الحقيقة الطبيعية ، وبالتالي ، الحقيقة غير القابلة للتحدي ، والتحدث عن التناقض لحقائق السلطة ، وبالتالي مساعدة الطرق البديلة التابعة لرؤية العالم للمطالبة بمساحة استطرادية .

مكملا لهذا الفضاء الخطابي الموسع حديثًا هو إعادة التركيز على الفضاء المادي . في إعادة ترتيب الحقيقة التاريخية على أنها سرديات مجزأة تم إنتاجها وفرضها في الوقت الحاضر ، فإن ما بعد الحداثة تفسد المفاهيم الهيغلية للفضاء كمنتج متبقي من الزمن التاريخي المثالي ، واستبدالها بمظاهر ارضية من التواريخ المتباينة المنتظمة في الفضاء .(Jameson 1991) وهكذا ، يصبح **الفضاء المادي** السياق التأسيسي للعلاقات الاجتماعية حيث يتم إنتاج وإعادة إنتاج الهيئات التي تؤلف (في كلا المعنيين) حقائق مميزة ومهمشة ، وتنخرط في استراتيجيات الهيمنة وتكتيكات التكيف والاستيلاء و / أو المقاومة . (de Certeau 1984) في هذه العملية ، تعود أهمية الخصوصية الموضوعة ووجهات النظر من منظور التجربة المعاشة إلى الظهور من تحت المسلمات المجردة . ومع ذلك ، فإن عودة ظهور الخصوصية المحلية هذه ليست عودة إلى بعض الواقعية الساذجة . يتم تلطيفها من خلال التركيز على كيفية تشكيل هذه الخرسانة من خلال تخيلاتهم ، والتصرف من تلك التخيلات .

تستلزم مقدمة ما بعد الحداثة للفضاء إعادة تركيز تخصص الجغرافيا . ولكن ، في الوقت نفسه ، فإن النتيجة الطبيعية للوعي الذاتي الجديد حول كيفية إنتاج الخطاب للفضاء تستلزم أيضًا تحولات في بؤرة البحث الجغرافي . على سبيل المثال ، يفسح التعرف على الخرائط المجال لاستجوابات الخرائط وإنتاجها وجداول أعمالها (Harley 1989) ، وأصبحت التحقيقات في طبيعة منطقة الثقافة والمنطقة دراسات حول كيفية تشكل التمثيلات الموثوقة للثقافة والمنطقة ومناطق ثقافية (هيكلي 1998).

ليس من المستغرب أن الفوضى الخصبة التي أوجدتها ما بعد الحداثة قد ولدت معارضة هائلة بين أولئك الذين ما زالوا مقتنعين بأن المشروع الحداثي ضروري لتوليد تحسن تدريجي في الحالة الإنسانية . تجادل الانتقادات الأكثر جوهرية بأن ما بعد الحداثة يفكك المعرفة والوجود ، ويحولها إلى طبقات متعددة من التمثيلات المجردة وانعكاسات السطح التي لا يمكن لعبها إلا إلى ما لا نهاية . في هذا الانتشار للأشكال الحرة

والمعاني المرتبطة بشكل تعسفي ، يصبح التماسك الناتج عن الإجماع الاجتماعي مستحيلًا ، مما يعيق التنظيم الجماعي ويمنع تحقيق أهدافا اجتماعية أكبر . نتيجة لذلك ، يقال إن ما بعد الحداثة تهدم المجتمع إلى وابل من الأصوات غير المفهومة بشكل متبادل . على سبيل المثال ، من منظور الجغرافيا النقدية الماركسية ما بعد الحداثة يقوض التعبئة حول الفئات المشتركة للطبقة والتجارب المشتركة للقمع الطبقي ، (على سبيل المثال) مما يسمح للوضع الرأسمالي الراهن بالتدحرج دون عائق . بالنسبة لبعض الجغرافيين النسويين ، فإن ما بعد الحداثة تجعل منطقية الهوية الأنثوية والجماعة الأنثوية مستحيلة في اللحظة التي بدأت فيها مثل هذه الهويات الجماعية في تحقيق بعض النجاح في معارضة استعبادهم الطويل من خلال قاعدة الذكورة غير المشكوك فيها إلى حد كبير . ومن منظور أولئك المتحالفين مع العلوم بشكل عام والعلم المكاني على وجه الخصوص ، فإن ما بعد الحداثة هي شيء تافه إلى حد كبير وأكثر خطورة في الوقت نفسه : مجموعة من الافتراضات السخيفة التي لا يمكن التحقق منها والتي ، في حالة تجذرها ، لديها القدرة على تقويض إجماع شديد على العقلانية التي ساعد عليها التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث في تحسين الظروف المادية للحياة . وهكذا ، تصبح ما بعد الحداثة تفاحة إيريس الذهبية ، التي ألقيت في منتصف الجدول التأديبي للجغرافيا ، وتقوض مقاومة الوضع الراهن والوضع الراهن نفسه .

سواء كانت ما بعد الحداثة تحمل القدرة على تحرير الجغرافيا أو شل حركتها أم لا ، فقد ترسخت بالفعل . تنتشر الآن نظرية وأساليب وموضوعات ما بعد الحداثة على نطاق واسع في جميع أنحاء التخصص ومخرجاته المنشورة . علاوة على ذلك ، هناك عددا كبيرا من الأصوات الفردية والجماعية في هذا المجال تتطلب الآن وتتوقع أن يتم سماعها واحترامها وحسابها وفقًا لشروطها ومعاييرها الخاصة . علاوة على ذلك ، أثبتت تداعيات ما بعد الحداثة بعد أكثر من عقد من تسللها بين مجموعة فرعية واسعة من الجغرافيين أنها أقل من نهاية العالم . ما زلنا نعمل ونتحدث ، وكثيرًا ما نفعل ذلك بحساسية عالية تجاه مكانة بعضنا البعض

تشير هذه الحقيقة التجريبية إلى أن ما بعد الحداثة لا تستلزم بالضرورة تجميد التجزئة ، مما يجعل العمل الجماعي مستحيلاً . انهيار الحقيقة المطلقة وفرض الوحدة لم يمنع تجمع التجمعات الاجتماعية الطارئة ، المبنية على الخبرات المشتركة في الفضاء المشترك ، كوسيلة للتعاون والتنظيم والمشاركة المعارف المتنوعة . علاوة على ذلك ، فإن إجراء المشاركة الجماعية على أساس الإجماع الحواري للقيام بذلك يجد سابقة في المشروع الجغرافي على وجه التحديد المنصوص عليه في كروبوتكين منذ أكثر من قرن مضى .

أما المشكلة الأكبر في تعطيل المعرفة عن طريق إذابة المادية إلى أسطول الإشارات ، من الصحيح حقًا أن ممارسة ما بعد الحداثة تُظهر انشغالًا لا هوادة فيه في كثير من الأحيان بطبيعة التمثيل ، وكثيراً ما تضع الواقع المادي على أنه مجرد نص آخر مفكك تأريخيا . مثل هذا entextualisation هو إشكالية بشكل خاص من منظور جغرافي ، اختزال المكان والمساحة لأنظمة التفريغ دلالات مجردة . ومع ذلك ، فقد واجه العمل الأخير في (يمكن القول) جغرافيا ما بعد الحداثة هذه الخفة التي لا تطاق للافتات الحرة العائمة من خلال طرح أنواعا مختلفة من "المادية الخطابية" (يابا 1996) أو "المادية ما بعد البنيوية" (بييت 1996). لا تظهر مثل هذه المادية الخطابية ببساطة كتركيب لمنظورات مادية حازمة وغير سيميائية قابلة للعلاج ، ولكن كأدوات تحليلية قوية تبحث في الفضاء كونه الوسط الذي تنتج فيه الصورة والمادة بشكل متبادل في تكرارات متتالية .

وهكذا ، أصبحت ما بعد الحداثة متداخلة بعمق إلى درجة اللزوم في الممارسة التأديبية للجغرافيا البشرية . في هذه العملية ، على الرغم من رفض السرد الفوقي وعدم القدرة على اتخاذ القرار الراديكالي ، فقد أثبتت ما بعد الحداثة أنها ليست أي شيء سوى العدمية . الموقف الأنطولوجي الذي يشكك في أن أي منظور يمكن أن يكون كاملاً وصحيحًا على وجه اليقين ، أو قابل للتطبيق خارج سياق محدود ، يستلزم استنتاجًا مفاده أنه لا يوجد منظور يمكن أن يسكت آخر بشكل شرعي . وهكذا تشير ما بعد الحداثة (أو ربما تنحرف) إلى علم الأخلاق والغائية المتكافئين ، حيث يؤدي المنظور الجزئي لكل شخص إلى معرفة موضوعية يمكن تقديرها من خلال قدرتنا على إعادة تموضع أنفسنا بشكل إبداعي في العديد من وظائف " الذات "

المتباينة- (Haraway 1991). كل من مكانية هذه الاستعارات ، وقابليتها للتطبيق على التحقيق الجغرافي ، واضح . إعادة تفسير المساحات على أنها متباينة فيما يتعلق ببعضها البعض ، والمساحة كما تم تجربتها وبنائها بشكل مختلف من قبل شاغلين مختلفين ، ومساحة معينة على أنها تمتلك العديد من السمات المتداخلة وغير القابلة للقياس (على سبيل المثال Soja 1996) ، وضعت ما بعد الحداثة التقدمية في الجغرافيا حاجة مثل هذا العمل يشرك الآخرين وأنفسهم بشكل حواري ، ويوثق التأثير المتبادل وإعادة التفاوض المستمر عبر المواقف التفاضلية . تعمل هذه المفاوضات بدورها على الكشف عن طرق لرؤية ذلك ، في كثير من الأحيان بمهارة وحتى بشكل غير مرئي ، يقوم بإبلاغ الممارسات التي تعمل بموجبها السلطة بشكل جوهري لإسكات البعض وإبعاده عن الأنظار لصالح الآخرين . من حيث أن علاقات القوة الاستبدادية هذه يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها وتعديلها ومقاومتها من قبل هيئات ترتبط دائمًا ببعضها البعض ويتم العمل بموجبها في الفضاء ، فإن مثل هذا المشروع يعد ضمنيًا مشروعًا جغرافيًا . وهكذا ، فإن الجغرافيا البشرية ما بعد الحداثة تفتح الباب أمام إمكانية معارضة أكثر علاقات القوة القمعية عمقًا ، وتفعيل البدائل بوعي .

KEY REFERENCES

Burnett, G. D. 2000. Masters of All They Surveyed: Exploration, Geography, and a British El Dorado. Chicago, University of Chicago Press.
Jameson, F. 1991. Postmodernism, or the Cultural Logic of Late Capitalism. Durham, NC, Duke University Press.
Natoli, J. 1997. A Primer to Postmodernity. Oxford, Blackwell.

OTHER REFERENCES

Dear, M. J. 2000. The Postmodern Urban Condition. Oxford, Blackwell.
de Certeau, M. 1984. The Practice of Everyday Life. Berkeley, University of California Press. Häkli, J. 1998. Discourse in the production of political space: decolonizing the symbolism of provinces in Finland, Political Geography, 17, 3: 331–363.
Haraway, D. 1991. Simians, Cyborgs and Women: The Reinvention of Nature. New York,Routledge.
Harley, J. B. 1989. Deconstructing the map, Cartographica, 26, 2: 1–20.
Peet, R. 1996. A sign taken for history: Daniel Shay's Memorial in Petersham, Massachusetts, Annals of the Association of American Geographers, 86, 1: 21–43.
Soja, E. W. 1996. Thirdspace. Oxford, Blackwell.
Yapa, L. 1996. What causes poverty? A postmodern view, Annals of the Association of American Geographers, 86, 4: 707–727.